

في مقدمة هذه العوائق نجد الجفاف الذي زحف على الزوايا مما يجعل الشيخ يغادر زاويته بحثا عن موطن جديد يستقر فيه، وبذلك ينفذ كثير من الطلبة الذين يكونون حوله والذين يقومون بالاستنساخ والتدريس والدراسة فيكونون في خدمة الوثيقة الإسلامية أي المخطوط. وفي هذا الصدد نتوجه ببناء مستعجل لمن يريد أن يساهم في عملية إنقاذ المخطوطات بموريطانيا، خاصة وأنها تزخر بثروة جد هامة من المخطوطات، والتي لازالت تعاني من قساوة الظروف الطبيعية، إذ أن معظمها لم يسجل ولم يعالج ولم يرمم بعد، وهذا ما يجعلها عرضة للتلف والضياع. فالهدف الأساسي الذي سعينا إلى الوصول إليه من خلال هذا السرد هو الوقوف على واقع مزر، واقع يدعو بحق إلى القلق، بل القلق الشديد، ويتطلب إثارة الهمم قصد النهوض بهذا الجانب من تراثنا العربي الإسلامي، وحتى يتسنى ذلك فإننا نرحب بكل من يريد التحقيق علميا في هذه المسألة، ونعده بأننا سنعمل على تسهيل مأموريته ومساعدته، ومن أراد أن يتفضل بمساهمة خيرية في هذا المجال فنسكون له من الشاكرين.

## المخطوطات والوثائق العربية بالخرانة العامة وخرانة الجامع الكبير بتطوان

الأستاذ محمد الأمين بوخبزة

مؤثق بالخرانة العامة — تطوان

«المكتبة العامة والمخطوطات» هو الاسم الذي أصبحت تحمله هذه المؤسسة الوطنية بتطوان قاعدة شمال المغرب غداة استقلال المغرب، وكانت النية متجهة إلى جعلها مكتبة وطنية جامعة للكتب والمخطوطات، والوثائق والمستندات بعد تأسيسها سنة 1939 بعاصمة ما كان يسمى بالمنطقة الخليفة على عهد الحماية الإسبانية لشمال المغرب، وبعد أن كان مقرها الأول بساحة الفداء (ساحة الحسن الثاني) الآن، بتطوان في بناية متواضعة، ومحتوياتها تتجاوز بضع مآت، منها مخطوطات لا تبلغ المائة. نقلت إلى بناية جديدة كبرى أطلق عليها إذذاك (المعهد الرسمي) هي الآن (ثانوية القاضي عياض). وهناك بدأت حركة التنمية والاستيراد، فاشترت لها مكتبات برمتها، كمكتبة ابن الصديق بطنجة، ومكتبة العلمي بشفشاون، ومكتبة الزواق بتطوان، أفرزت مخطوطاتها وأضيفت إلى قسمها، وبعد استقلال المغرب نقلت المكتبة إلى بناية لائقة اشترت لها، بأكبر شوارع المدينة (شارع محمد الخامس) حيث مقرها الآن، وأعدت إعدادا حسنا، وأصبحت قبلة الباحثين والعلماء والطلبة من المغرب وغيره، ومازالت تؤدي رسالتها على أحسن حال، ورغم أنه لم يضاف إلى رصيدها المخطوط من الكتب والوثائق إلا شيء تافه، مع العلم أن كثيرا — وكثيرا جدا — من نوادر المخطوطات، وذخائر المصنفات، خرجت من تطوان وقبائل المنطقة الجبلية والغمارية، على يد السماسرة الذين يجولون خلال قراها ومداشرها، ويشترونها بثمن بخس، وهي البقية التي سلمت

3 — عمدة الراوين في تاريخ تطاوين، لأبي العباس قاضي قضاة تطوان ومؤرخها أحمد الرهوني بخطه في 9 مجلدات.

4 — المولد النبوي للشيخ حسن السقا خطيب الجامع الأزهر، بخطه.

5 — شرح بردة البوصيري للشيخ يوسف الحفني، بخطه.

6 — مجموعة رسائل للشيخ محمد الأمير الكبير، بخطه.

7 — تخميس طي البردة للسخاوي المدني، بخطه.

8 — مجموع مهم يشتمل على رسائل في النحلة الكشفية الشيعية التي هي أساسا البهائية، منها رسالتان لكاظم الرشتي — بخطه — كتبهما في النجف فيما يسمى : العتبات المقدسة.

9 — مجموع رسائل وتقايد للأشرف العلميين — حكام مدينة شفشاون —.

10 — مشارق الأنوار للصاغاني اللغوي، نسخ في القرن الثامن واللافت للنظر أن النسخة لم تمسها الأرضة بأدنى أثر رغم طول المدّة، ووجودها بين المخطوطات المصابة، مما جعل بعض الباحثين الأجانب يستظهِرون أن ذلك راجع لنوع الورق ومواد صنعه.

11 — شرح المرادي على الفية ابن مالك، نسخ في حياة المؤلف.

12 — ألفية ابن سينا في الطب، نسخت سنة 800.

13 — الشفا للقاضي عياض، نسخة شرقية محققة كتبت سنة 791.

14 — خبايا الزوايا، للشهاب الخفاجي — وهو أصل كتابه الريحانة — نسخة منقولة من خط المؤلف.

15 — أحيان السواجع. للصالح الصفدي نسخة جيدة، اعتمدت في الطبع.

16 — الأنيس النفيس لأبي القاسم الزاياني، الوزير المغربي. نسخت في حياة المؤلف.

17 — مختصر كتاب العين للزبيدي الأشبيلي، نسختان أندلسيتان، وإحدهما محققة مقروءة معتمدة من القرن السادس تقديرا.

18 — تحفة الأنفس، وشعار سكان الأندلس، لابن هذيل الغرناطي، الجزء الأول الذي لم يطبع — نسخة خزائنية.

من عوادي الزمان، وحوادث السطو والحرق والاحتلال الإسباني الأول والثاني، والقرصنة المعلومة التي أخذت اخواتها طريقها إلى دير الاسكوريال بإسبانيا وغيره، وفيها الكثير من كتب أبناء تطوان كما يعرف بالوقوف عليها، وما كان ينبغي أن يحصل هذا لو نظر إلى الأمر بعناية وإخلاص، كما أنه من المؤسف أن يقل حظ مكتبة تطوان من آثار أبنائها، فلولا أن الفقيه مؤرخ البلدة ألقائه الظروف إلى بيع قسم من مكتبته العامرة، وكان منها نصيب من مؤلفاته، وعلى رأسها تاريخه الحافل المسمى «عمدة الراوين، في تاريخ تطاوين» لخلت المكتبة تماما من آثار أبنائها البررة مثل العلماء الأجلة علي بركة الأندلسي، وعيسى الجزيري الأندلسي، ومحمد الحراق العلمي، وأحمد بن عجيبة، وعبد الله شطير، وعبد الرحمن الحائك المصمودي، ومحمد الجنوي، وأحمد الوزاني، ومحمد عزيمان، وأحمد السلوي، وأحمد الزوافي ومحمد المرير، وغيرهم ممن تحتفظ بعض المكاتب الخاصة ببعض مؤلفاتهم، وكان الواجب أن تضم خزانة تطوان جميع آثارهم التي هي بنات بيتها، وإشعاع حضارتها بعد الحصول عليها بأي طريق ولو بالاستنساخ والتصوير.

بلغت مخطوطات الخزنة الآن زهاء ثلاثة آلاف عنوان في مختلف فروع المعرفة، وضع لها جرد غير مستوعب ولا دقيق، وطبعت وزارة الشؤون الثقافية مؤخرا قسمي علوم القرآن والحديث، ولا زالت الأقسام الأخرى تنتظر الطبع، وحالة هذه المخطوطات — بصفة عامة — حسنة بفضل الصيانة والترميم، إلا ما كان من مخطوطات الجامع الكبير التابع للأوقاف، فإنه لوحظ سوء حالها وتكاثر العيب، وتزايد الأرضة فيها، ولعل ذلك راجع إلى الرفوف الخشبية التي تحتضنها مع السوس المتوالد في دفتها، وقلة التهوية اللازمة والتعاهد المطلوب.

ومن المفيد أن نشير في هذه العمالة إلى بعض نوادير الخزنتين وأشبه النوادير مما تنفردان به أو تكادان، وهذا غير مستغرب في خزنتين متواضعتين بالنسبة لكبريات الخزائن في المغرب، فقدما قيل في المثل : «يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر». فمن أعلام خزنة تطوان :

1 — قطعة نادرة من مصحف غرناطي مكتوب على رق الغزال بخط أندلسي فخم ومذهب، عرض بعض لوحاتها صاحب (مصور الخط العربي) ناجي زين الدين في الجزء الأول.

2 — نظم الدرر المنثورة لأبي العباس الونشريسي (صاحب المعيار) بخطه.

19 — رقم الحلل في نظم الدول للوزير ابن الخطيب، نسخة جيدة تقرب من عصر المؤلف.

20 — ترتيب ديوان المتنبي لأبي جمعة الماغوسي، نسخة كتبت للمنصور الذهبي السعدي.

21 — حاشية محمد بن سليمان الروداني على أوضح المسالك — نسخة فريدة.

22 — كتاب الأبرار، في بري الأقلام وعمل الأحبار — نسخة فريدة.

23 — مجموع به كتاب به (وصف الأحجار — نسخ بمدينة بروسة سنة

836).

24 — الجمع بين (نزهة الناظر، وبهجة الخاطر) لأحمد بن عبد القادر التستائوتي، لابن عاشر الحافي السلوي، وعليه خطه ويطول بنا الكلام إذا استرسلنا في الحديث عن المخطوطات المهمة التي تضمها الخزانة، وخصوصا في الفقه والقرآن والتصوف ونحوهما.

أما نوادر خزانة الجامع الكبير فيأتي على رأسها :

1 — المصحف المقدس الأثير (مصحف ابن مرزوق)، هذا المصحف الذي كتب على رقوق الغزلان في أوائل القرن السادس بمدينة بلنسية بالأندلس، بخط أحد بني حزب الله، الأسرة الشهيرة بالعلم، ثم تقلبت به الأيام إلى أن حل بتمسان فاصطحبه الإمام ابن مرزوق الخطيب في هجرته إلى مكة المكرمة حيث جاور بيت الله، يتلو كتاب الله، فأخرج فيه اثني عشر ألف ختمة تجاه الكعبة المشرفة كما كتب حفيده (الحفيد ابن مرزوق) بخطه الرائق في أول النسخة منها إلى سقوط كلمة (إليك) من قوله تعالى في سورة الملك : «ينقلب إليك البصر خاسئا...» من قلم الناسخ، وعدم تفطن القارئ الخطيب رغم هذه المدة الطويلة، والختام المتكاثرة. حتى استدركها الحفيد بخطه بمداد مغاير في المصحف المذكور كما شرح ذلك أبو العباس المقري في (نفع الطيب 416/5) طبعة إحسان عباس، ويرجع الفضل في اكتشاف هذا المصحف النادر إلى الفقيه الأديب السيد محمد بن موسى وزير الأوقاف في الحكومة الخليفية يومئذ، رحمه الله.

2 — مجلدان من النوادر والزيادات لابن أبي زيدون القيرواني.

4 — حاشية الوانوشي على المدونة.

5 — نسخة من شرح أبي علي ابن رحال على مختصر خليل، ويعتبر أوسع شروحه، فقد شرح نصفه الثاني فقط في 14 مجلدا ضخما.

6 — مسند الإمام أحمد نسخة شرفية عتيقة.

7 — شرح الكرماني على صحيح البخاري — نسخة شرفية عتيقة.

8 — المنزاع البديع للسجلماسي في علوم البلاغة نسخة جيدة اعتمدت في طبعه مع نسخة ثانية في لندن ولا ثلاثة لهما.

9 — النصف الأول من السنن الكبرى لأبي عبد الرحمن النسائي، وهي أصل المجتبي الذي هو أحد الكتب الستة في الحديث من نسخة كانت تامة في مجلدين كتبت بدمشق في أوائل القرن السادس. وقد صورت لعدة جهات واعتمدت في الطبع.

هذا علاوة على نسخ خزائنية من صحيح البخاري وغيره، ومعظم هذه النفائس مما حبسه أمير المومنين المولى محمد بن عبد الله لما وزع كتب دار جده المولى اسماعيل على مساجد المغرب.

أما الوثائق — وهي المادة الخام الأولى لتاريخ الأمة وحضارتها — فتتفرّد خزانة تطوان بمجموعة جد مهمة عن العصر الحسني الأول والعزيمي والحفيظي تكون معظم الرصيد. كانت في الأصل واردات سلطانية أو وزارية إلى النائب السلطاني بطنجة في تلك الأيام السيد الحاج محمد بن العربي الطريس الدبلوماسي المحنك الشهير، مع مجموعة نادرة مصورة من خزائن مدريد ترتقي إلى عصر المولى محمد بن عبد الله وابنيه يزيد وسليمان، ومجموعة للمولى عبد الرحمن، ووثائق أصيلة عن حركة الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي والثائر أحمد الريسوني، إلى رسائل بعض المشايخ والعلماء والمجاهدين، وتقايد وفتاوي ورسوم عدلية، واتفاقيات دولية، ونصوص قوانين وبيعة شرعية وغيرها، يصل مجموع هذه الوثائق إلى نحو 25 000 وثيقة، قامت مديرية الوثائق الملكية بالرباط منذ سنوات بتصويرها كلها وإيداع نسخة من كل صورة منها بالخزانة للاطلاع والاستعمال صيانة للأصول عن التلاشي والتمزق، مع الوعد بتصوير صادراتها المحفوظة بالمديرية حتى تجتمع

الصادرات والواردات أو الظواهر والمراسيم وأجوبتها، وبذلك تتم الفائدة، وتتكامل فصول القضايا والموضوعات الحكومية.

ولهذه الوثائق سجل عام، وبطاقات محررة بالمواد والموضوعات والأعلام، كما أعد لها جرد مختصر مفيد بعدد المحافظ ومحتوياتها إجمالاً يقف الباحث المستعجل في أقصر مدة على مجملها وعددها، وقد طبعت لحد الآن أربعة أقسام من فهرسها عن العصر الحسنى الأول.

## وضع المخطوطات العربية في الجزائر

الدكتور محمود بوعياض

مدير المكتبة الوطنية الجزائرية

### 1 - الجزائر والتراث العربي المكتوب :

ساهمت الجزائر في إثراء التراث الثقافي العربي مساهمة البلدان الإسلامية الأخرى في المشرق والمغرب، وقد ظهرت بوادر التدوين والتأليف وجمع الكتب منذ فجر الفترة الإسلامية، إذ أن المصادر توردها من أسماء المؤلفين والشعراء جادوا بأقلامهم وقرائحهم في أول دولة إسلامية فوق تراب المغرب الأوسط وهي الدولة الرستمية التي اعتنت بالكتاب عناية خاصة، فيذكر الشيخ أحمد الدرجيني (المتوفى حوالي سنة 670هـ/1272م) في كتابه (طبقات المشائخ بالمغرب) أن أبا عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، وجد عند دخوله لتاهرت عاصمة الرستميين «صومعة مملوءة كتباً» (ج أ، ص 96) فأحرقها، ويفرط آخرون في المبالغة بقولهم إن المكتبة التي أسسها الأئمة الإباضية الرستميون في تاهرت كانت تضم ثلاثمئة ألف مجلد من الكتب جلب بعضها من المشرق، وألف الباقي علماء وأدباء ولدوا في المغرب الأوسط أو استقروا بأرضه، وأمام هذه المبالغة لا يسعنا إلا أن نعتبر هذا الرقم خيالاً بالنسبة للفترة التاريخية، غير أنه وإن كان بعيداً عن الحقيقة فهو يدل على كثرة عدد المجلدات التي كانت تضمها هذه المكتبة.

ونجد أخباراً مماثلة حول العدد الكبير للمؤلفين وخزانات الكتب عند الدول التي تعاقبت على القطر، ويؤكد هذا الكلام المعلومات التي استقينها من كتب تراجم العلماء «كعنوان الدراية في ذكر علماء بجاية» لأحمد الغبريني (المتوفى سنة 704هـ/1304م) و«البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان» لمحمد بن مريم (المتوفى سنة 1014هـ/1605م).